(**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١)**) .

[الرعد : ١١] .

(**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**) (معقبات) صفة لموصوف محذوف أي: ملائكة معقبات.

- **قال الشوكاني:** والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلا منه.

وهم الحفظة من الملائكة في قول عامة المفسرين. قال الزجاج: المعقبات ملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض.

- **قال ابن الجوزي** : وقال أكثر المفسرين : هم الحَفَظَة ، اثنان بالنهار واثنان بالليل ، إذا مضى فريق ، خلف بعده فريق ، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر.

أَيْ : لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَسٌ بِاللَّيْلِ وَحَرَسٌ بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةٌ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، فَاثْنَانِ عن اليمين والشمال يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ، واحد مِنْ وَرَائِهِ وَآخِرَ مَنْ قُدَّامِهِ، فَهُوَ بَيْنُ أربعة أملاك بالنهار، وأربعة أملاك بِاللَّيْلِ، بَدَلًا حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ .

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّون) .

- وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي : حفظهم له واقع بأمر الله عز وجل .

قيل : يحفظونه من بأس الله إذا أذنب بالاستمهال له والاستغفار حتى يتوب .

وقيل : أن كون الحفظة يحفظونه هو مما أمر الله به . قال الزجاج : المعنى : حفظهم إياه من أمر الله أي : مما أمرهم به لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله .

وقيل : أن «من» بمعنى الباء ، أي : يحفظونه بأمر الله .

وقيل : إن " من " بمعنى عن ، أي : يحفظونه عن أمر الله ، بمعنى من عند الله ، لا من عند أنفسهم .

(**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) بينَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، (من طاعة إلى معصية ومن جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد) .

وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ قَوْمًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وَبَيَّنَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

وَقَوْلِهِ (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

وَقَدْ سُئِلَ ﷺ : «أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»

- **قال الرازي** : قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ) فكلام جميع المفسرين يدل على أن المراد لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد.
- **قال ابن عطية** : ومعنى هذه الآية الإخبار بأن الله عز وجل إذا أنعم على قوم نعمة فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغيرها وتكديرها حتى يجيء ذلك منهم بأن يغيروا حالهم التي تراد وتحسن منهم ، فإذا فعلوا ذلك وتلبسوا بالتكسب للمعاصي أو الكفر الذي يوجب عقابهم غير الله نعمته عليهم بنقمته منهم ، ومثال هذا نعمة الله على قريش بمحمد ﷺ فكفروا ما كان يجب أن يكونوا عليه ، فغير الله تلك النعمة بأن نقلها إلى غيرهم من الأنصار وأحل بهم عقوبته.
- **وقال القرطبي** : قوله تعالى (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ** ...) تعليل ، أي هذا العقاب ؛ لأنهم غيروا وبدّلوا ، ونعمة الله على قريش الخصب

والسَّعة ، والأمن والعافية (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ الناس مِنْ حَوْلِهِمْ) .

- وهذه من سنن الله الاجتماعية ، أنه تعالى لا يبدل ما بقوم من عافية ونعمة ، وأمن وعزة ، الا إذا كفروا تلك النعم ، وارتكبوا المعاصي ، وفي الأثر " أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ، ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله ، فيتحولون منها إلى معصية الله ، إلا حول الله عنهم ما يحبون الى ما يكرهون .

قال تعالى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ).

وقال تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

وقال تعالى (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

عَلِيٍّ ﷺ: لَا يَرْجُوَنَّ عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ .

(**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ**) أي : وإذا أراد سبحانه بقوم سوءا من عذاب أو هلاك أو ما يشبههما بسبب إيثارهم الغي على الرشد، فلا راد لقضائه، ولا دافع لعذابه.

كَقَوْلِهِ (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .

(**وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**) أي : من ناصر ينصرهم منه سبحانه ويرفع عنهم عقابه، ويلي أمورهم ويلتجئون إليه عند الشدائد.

فالجملة الكريمة بيان لمظهر من مظاهر عدل الله في شئون عباده، وتحذير شديد لهم من الإصرار على الشرك والمعاصي وجحود النعمة، فإنه سبحانه لا يعصم الناس من عذابه عاصم. ولا يدفعه دافع.

الفوائد :

١- كثرة الملائكة .

٢- من أعمال بعض الملائكة .

٣- أن الملائكة تعمل بأمر الله .

٤- أن النعم لا يزيلها الله إلا إذا غير العباد وكفروا النعمة ولم يقوموا بحقها من الشكر .

٥- خطر الذنوب والمعاصي .

٦- أنه لا راد لعقاب الله وعذابه إذا حل .

٧- تهديد من يبدل نعمة الله إلى الكفر بها .

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)) .

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)) .

[الرعد : ١٢ ، ١٣] .

(**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا**) يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَخِّرُ الْبَرْقَ، وَهُوَ مَا يُرَى مِنَ النُّورِ اللَّامِعِ سَاطِعًا مِنْ خِلَلِ السَّحَابِ. خَوْفاً وَطَمَعاً قَالَ قَتَادَةُ: خَوْفًا لِلْمُسَافِرِ يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ، وَطَمَعًا لِلْمُقِيمِ يَرْجُو بَرَكَتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللَّهِ .

- **قال الخازن** : والبرق معروف ، وهو لمعان يظهر من خلال السحاب .

قال : وفي كونه خوفاً وطمعاً وجوه :

الأول : إن عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ، ويطمع في نزول المطر.

الثاني : أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرينه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ، ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزارع ونحوه.

الثالث : أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ، ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما إذا أمطرت قحطت وإذا لم تمطر أخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعني المطر.

- جاء في (**التفسير الوسيط**) و الله تعالى وحده الذي يريكم بقدرته البرق، فيترتب على ذلك أن بعضكم يخاف ما ينجم عنه من صواعق. أو سيل مدمر، وبعضكم يطمع في الخير من ورائه، فقد يعقبه المطر النافع، والغيث المدرار.

فمن مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه، أنه جعل البرق علامة إنذار وتبشير معا، لأنه بالإنذار والتبشير تعود النفوس إلى الحق، وتفيء إلى الرشد.

- **قال الشنقيطي** : ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِي خَلْقَهُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ، قَالَ قَتَادَةُ : خَوْفًا لِلْمُسَافِرِ يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ ، وَطَمَعًا لِلْمُقِيمِ يَرْجُو بَرَكَتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللَّهِ .

وَعَنِ الْحَسَنِ : الْخَوْفُ لِأَهْلِ الْبَحْرِ ، وَالطَّمَعُ لِأَهْلِ الْبَرِّ .

وَعَنِ الضَّحَّاكِ : الْخَوْفُ مِنَ الصَّوَاعِقِ ، وَالطَّمَعُ فِي الْغَيْثِ .

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : أَنَّ إِرَاءَتَهُ خَلْقَهُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا مِنْ آيَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) .

(**وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**) أي : وهو سبحانه الذي ينشئ السحاب المثقل بالماء، فيرسله من مكان إلى مكان على حسب حكمته ومشيئته.

قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ. حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ، فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ، فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ، كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون) .

(**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ**) أي يسبح الرعد نفسه بحمد الله. أي : متلبسا بحمده، وليس هذا بمستبعد، ولا مانع من أن ينطقه الله بذلك.

وأما على تفسير الرعد بملك من الملائكة فلا استبعاد في ذلك، ويكون ذكره على الإفراد مع ذكر الملائكة بعده لمزيد خصوصية له. وعناية به .

- **قال الماوردي** : قوله عز وجل (ويسبّح الرعد بحمده) وفي الرعد قولان :

أحدهما : أنه الصوت المسموع ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال (الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب) .

الثاني : أن الرعد ملك ، والصوت المسموع تسبيح .

- **قال الخازن** : أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب ، والصوت المسموع منه تسبيحه.

وأورد على هذا القول ما عطف عليه.وهو قوله (والملائكة من خيفته) وإذا كان المعطوف مغايراً للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره ، وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسماً لملك من الملائكة وإنما أفرده بالذكر تشريفاً له على غيره من الملائكة ، فهو كقوله : وملائكته وجبريل وميكال.

- جاء في سورة الإسراء قوله تعالى (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ) من شجر وحجر وجبل وجماد وغير ذلك .

وقد اختلف العلماء في معنى تسبيحها :

فقيل : تسبيحها دلالتها على صانعها .

وقيل : تسبيح حقيقي لا يسمعه البشر ولا يفهمه وهذا هو الصحيح لأدلة كثيرة :

قوله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن ...) .

- **قال القرطبي** : لو كان التسبيح تسبيح دلالة فأيّ تخصيص لداود .

وقد جاءت أحاديث كثيرة أن الجمادات وغيرها تخاطب مخاطبة العاقل :

قال تعالى (وإن منها لما يهبط من خشية الله) .

وقال ﷺ (لا يسمع صوت المؤذن إنس ولا جن ولت حجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة) رواه ابن ماجه .

وقال ﷺ (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) رواه مسلم .

وحديث الجذع الذي حن وصاح لما ترك النبي ﷺ الخطبة عليه وبدأ يخطب على منبر .

وقال ﷺ (إن أحداً جبل يحبنا ونحبه) متفق عليه .

فهذا القول هو الراجح ان كل شيء يسبح لله من جماد وغيره للأخبار الكثيرة في هذا الباب .

(وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) أي لا تفهمون تسبيح هذه المخلوقات التي على غير لغتكم ، بل يحيط بها علام الغيوب .

- وتسبيح الله يعني: تنزيهه عن كل نقص وعيب، هذا هو التسبيح، سبحت الله يعني نزهته وبرأته من كل نقص وعيب، لأنه جل وعلا كامل الصفات، إذ ينتفى عنه جميع النقائص، وقوله (بحمد ربهم) الباء للمصاحبة، أي سبحوا الله تسبيحاً مقروناً بالحمد مصاحباً به.

والحمد هو: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

هذا معنى الحمد، حمدت الله يعني: اعتقدت أن له أوصافا كاملة، وذكرت بلساني ذلك، فإن كرر المدح صار ثناء، كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى علي عبدي .

تنبيه :

- **قال القرطبي** : واختلف العلماء في الرعد ففي الترمذي عن ابن عباس قال (سألت اليهود النبي ﷺ عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر الله قالوا صدقت " الحديث بطوله .

وعلى هذا التفسير أكثر العلماء ، فالرعد اسم الصوت المسموع

- **قال البغوي** : أكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه .

ولعل مما يؤيد ما عليه عامة المفسرين والمحدثين :

ما أخرجه مسلم : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلاَنٌ. لِلاِسْمِ الَّذِى سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِى فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَه) .

فقوله في الحديث (سمعت في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك) ما يدل على ما عليه عامة المفسرين والمحدثين من أن الرعد ملك يزجر السحاب ، والله اعلم.

(**وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**) أي : ويسبح الملائكة- أيضاً- بحمد الله، خوفاً منه- تعالى- وإجلالاً لمقامه وذاته.

- **قال ابن الجوزي** : قوله تعالى (والملائكة من خيفته) في هاء الكناية قولان :

أحدهما : أنها ترجع إلى الله عز وجل ، وهو الأظهر.

قال ابن عباس : يخافون الله ، وليس كخوف ابن آدم ، لا يعرف أحدهم مَنْ على يمينه ومَنْ على يساره ، ولا يَشْغَله عن عبادة الله شيء.

والثاني : أنها ترجع إلى الرعد ، ذكره الماوردي.

- فمن عبادات الملائكة : التسبيح :

قال تعالى (:الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم) .

وقال تعالى (:وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم) .

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع، لا في الليل، ولا في النهار (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُون) .

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبّحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا بذلك (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُون) .

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر .

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر، قال (سئل رسول الله ﷺ أي الذكر أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده) .

(**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ**) الصواعق جمع صاعقة، وهي- كما يقول ابن جرير- كل أمر هائل رآه الرائي أو أصابه، حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب وذهاب عقل .

والمراد بها هنا: النار النازلة من السماء.

أي ويرسل سبحانه الصواعق المهلكة فيصيب بها من يشاء إصابته من خلقه.

(**وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ**) أي : وكفار مكة يجادلون في وجود الله ووحدانيته ، وفي قدرته على البعث .

(**وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**) أي : وهو تعالى شديد القوة والبطش والنكال ، القادر على الانتقام ممن عصاه .

- **قال السعدي** : شديد الْمِحَالِ أي: شديد الحول والقوة فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة – فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

الفوائد :

١- حكمة الله في وجود البرق خوفاً وطمعاً .

٢-من آيات الله العظيمة إنشاء السحاب .

٣-أن كل شيء يسبح بحمد الله .

٤- وجوب تنزيه الله عن كل عيب ونقص .

٥- مشروعية الإكثار من تسبيح الله .

٦- أن الكمال المطلق لله تعالى .

٧- أن الملائكة تسبح لله .

٨- فضل الخوف من الله .

٩- حكمة الله في إرسال الصواعق وإصابة من يشاء من عباده .

١٠- أن الله شديد الأخْذ والعذاب والنكال .

(**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ (١٤)**) .

[الرعد : ١٤] .

(**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**) أي : له وحده- سبحانه- الدعوة الحق المطابقة للواقع، لأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو الحقيق بالعبادة والالتجاء.

فإضافة الدعوة إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته، وفي هذه الإضافة إيذان بملابستها للحق، واختصاصها به، وأنها بمعزل عن الباطل.

ومعنى كونها له: أنه- سبحانه- شرعها وأمر بها.

- **قال الشوكاني** : قوله: «له دعوة الحق» إضافة الدعوة إلى الحق للملابسة. أي : الدعوة الملابسة للحق، المختصة به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه.

وقيل: الحق هو الله تعالى والمعنى: أنه لله تعالى دعوة المدعو الحق وهو الذي يسمع فيجيب.

وقيل: المراد بدعوة الحق هاهنا كلمة التوحيد والإخلاص والمعنى: لله من خلقه أن يوحدوه ويخلصوا له العبادة.

وقيل: دعوة الحق، دعاؤه سبحانه عند الخوف، فإنه لا يدعى فيه سواه، كما قال تعالى وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.

- **قال السعدي** : أي لله وحده (دَعْوَةُ الْحَقِّ) وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة .
- ثم بين سبحانه حال من يعبد غيره :

(**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ**) ا الأصنام التي يعبدها هؤلاء المشركون من غير الله .

(**لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ**) فإنها لا تجيبهم إلى شيء يطلبونه منها .

- **قال الشوكاني** : والآلهة الذين يدعونهم -يعني الكفار- من دون الله عزّ وجلّ لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم كائناً ما كان .

(**إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**) إلا كإجابة الماء لشخص بسط كفيه إليه من بعيد، طالباً منه أن يبلغ فمه وما الماء ببالغ فم هذا الشخص الأحمق، لأن الماء لا يحس ولا يسمع نداء من يناديه.

- **قال الشوكاني** : كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد فإنه لا يجيبه؛ لأنه جماد لا يشعر بحاجته إليه ، ولا يدري أنه طلب منه أن يبلغ فاه . ولهذا قال (وَمَا هُوَ) أي : الماء (بِبَالِغِهِ) أي : ببالغ فيه . قال الزجاج : إلاّ كما يستجاب للذي يبسط كفيه إلى الماء يدعو الماء إلى فيه ، والماء لا يستجيب ، أعلم الله سبحانه أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان إلى الماء يدعوه إلى بلوغ فمه ، وما الماء ببالغه .

وقيل : المعنى : أنه كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شيء منه . وقد ضربت العرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقبض على الماء .

- **وقال الفراء** : إن المراد بالماء هنا ماء البئر ، لأنها معدن للماء ، وأنه شبهه بمن مد يده إلى البئر بغير رشاء ، ضرب الله سبحانه هذا مثلاً لمن يدعو غيره من الأصنام . (فتح القدير) .

والمقصود من الجملة الكريمة نفى استجابة الأصنام لما يطلبه المشركون منها نفيا قاطعاً ، حيث شبه سبحانه حال هذه الآلهة الباطلة عند ما يطلب المشركون منها ما هم في حاجة إليه، بحال إنسان عطشان ولكنه غبى أحمق لأنه يمد يده إلى الماء طالبا منه أن يصل إلى فمه دون أن يتحرك هو إليه. فلا يصل إليه شيء من الماء لأن الماء لا يسمع نداء من يناديه.

- ونكر شيئاً في قوله لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ للتحقير. والمراد أنهم لا يستجيبون لهم أية استجابة حتى ولو كانت شيئا تافها.
- **قال السعدي** : وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة ، فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) .
- **قال القرطبي**: وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي يدعو إلها من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا لأن الماء لا يستجيب، وما الماء ببالغ إليه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفه فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه، لكذب ظنه وفساد توهمه. قاله ابن عباس.

الثالث: انه كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه، فلا يجد في كفه شيئا منه .

وقد ضربت العرب مثلا لمن سعى فيما لا يدركه، بالقبض على الماء .

- **قال ابن كثير** : ومعنى هذا الكلام أن الَّذِي يَبْسُطُ يَدَهُ إِلَى الْمَاءِ إِمَّا قَابِضًا وَإِمَّا مُتَنَاوِلًا لَهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَى فِيهِ الَّذِي جَعَلَهُ مَحَلًّا لِلشُّرْبِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ، لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِمْ أَبَدًا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ وَمَا دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلال .

(**وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**) أي : وما عبادة الكافرين للأصنام، والتجاؤهم إليها في طلب الحاجات، إلا في ضياع وخسران لأن هذه الآلهة الباطلة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، فضلا عن أن تملك ذلك لغيرها.

الفوائد :

١- في الآية نفي النفع والقدرة عن المعبودين دون الله ، وأن الأصنام لا تملك لعبّادها نفعاً ولا ضراً ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن جلب النفع ودفع الضر من خصائص الله عز وجل .

أ-قال تعالى (وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ) .

ب- قال تعالى (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) . (قطمير) القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمر .

ومعنى الآية : يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه . من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها . مما يدل على عجزهم وضعفهم ، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي :

الملك ، وسماع الدعاء ، والقدرة على الاستجابة .

فمتى لم توجد هذه الشروط تامّة بطلت دعوته ، فكيف إذا عدمت بالكلية .

فنفى عنهم الملك بقوله (ما يملكون من قطمير) .

أي لا يملكون من السموات والأرض شيئاً ، ولا بمقدار هذا القطمير ، كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) .

وقال تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) .

فمن كان هذا حاله ، فكيف يُدعى من دون الله .

ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) يعني الآلهة التي تدعونها لا يسمعون دعاءكم لأنهم أموات ، أو ملائكة مشغولون بأحوالهم مسخرون لما خلقوا له ، أو جماد .

ولأنه قد يقول المشرك : هذا في الأصنام ، أما الملائكة والأنبياء والصالحون فيسمعون ويستجيبون .

فنفى سبحانه ذلك بقوله : (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) أي لا يقدرون على ما تطلبونه منكم .

ج- وقال تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) .

- **قال الشيخ بن باز** رحمه الله : هذه الآية تبين أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله ، ووصف المدعو من دون الله بأربع أوصاف :

الأولى : عدم استجابتهم لهم إلى يوم القيامة .

الثانية : أنهم غافلون عن دعائهم ، إما لأنهم أموات ، أو جماد لا إحساس لهم ، أو حي مشغول ، أو ملك لا علم له بمن دعاه .

الثالثة : أنهم يكونون أعداءً لمن عبدوهم يوم القيامة .

الرابعة : أنهم يبرؤون من عبادتهم وينكرونها) . أ . هـ